الفصل السادس
قراءات نقدية لبعض النصوص

تقدمة:

كلَّما قرأت الشريعة الخطيَّة تستوقفنى كثير من النصوص أراها تحتاج إلى تعليق عليها يكشف زيفها، ويفصّل ما فيها من مخالفة للمنطق والواقع، والدين، بل هى خارجة عن كل تصوّر إنسانى، وأحببت أنْ أعلِّق عليها بما أراه يزيل غموضها، ويفضح معناها، ولكنَّنى وجدتها من الكثرة بحيث تحتاج إلى كتاب خاص بها بل إلى كتب متعدِّدة، فاكتفيت هنا بقليل منها كأمثلة، لعلَّ هذا القليل يغنى عن الكثير.

نبى يزنى بابنتيه

النص: " ٣٠ وَغَادَرَ لُوطٌ وَابْنَتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ صُوغَرَ، وَاسْتَقَرُّوا فِى الْجَبَلِ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِى صُوغَرَ. فَلَجَأَ هُوَ وَابْنَتَاهُ إِلَى كَهْفٍ هُنَاكَ. ٣١ فَقَالَتْ الابْنَةُ الْبِكْرُ لأُخْتِهَا الصَّغِيرَةِ: «إِنَّ أَبَانَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِى الأَرْضِ حَوْلَنَا رَجُلٌ يَتَزَوَّجُنَا كَعَادَةِ كُلِّ النَّاسِ. ٣٢ فَتَعَالَى نَسْقِيهِ خَمْراً وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ فَلاَ تَنْقَطِعُ ذُرِّيَّةُ أَبِينَا». ٣٣ فَسَقَتَا فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبَاهُمَا خَمْراً، وَأَقْبَلَتْ الابْنَةُ الْكُبْرَى وَضَاجَعَتْ أَبَاهَا فَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. ٣٤ وَفِى الْيَوْمِ الثَّانِى قَالَتْ الابْنَةُ الْبِكْرُ لأُخْتِهَا الصَّغِيرَةِ: «إِنِّى قَدِ اضْطَجَعْتُ مَعَ أَبِى لَيْلَةَ أَمْسِ، فَتَعَالَى نَسْقِيهِ اللَّيْلَةَ أَيْضاً خَمْراً ثُمَّ ادْخُلِى، وَاضْطَجِعِى مَعَهُ فَنُحْيِى مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». ٣٥ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً وَأَقْبَلَتْ الابْنَةُ الصَّغِيرَةُ وَضَاجَعَتْ أَبَاهَا. فَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. ٣٦ وَهَكَذَا حَمَلَتْ الابْنَتَانِ كِلْتَاهُمَا مِنْ أَبِيهِمَا. ٣٧ فَوَلَدَتِ الْكُبْرَى ابْناً دَعَتْهُ مُوآبَ

(وَمَعْنَاهُ مِنَ الأَبِ)، وَهُوَ أَبُو المُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ، ٣٨ أَمَّا الصُّغْرَى فَوَلَدَتِ ابْناً وَدَعَتْهُ «بَنْ عَمِّي) (وَمَعْنَاهُ ابْنُ قَوْمِي) وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. "[1].

التعليق: نجَّى الله ﷻ سيِّدنا لوطا عليه السلام وابنتيه من القرية الفاسق أهلُها، فأقاموا فى مغارة بمفردهم، ولكنَّ أبى اليهودى كاتب هذا السفر إلاَّ أنْ يلوِّث سيرة النبى الطاهر وابنتيه الشريفتين، فكتب هذا الكذب الحقير المعبِّر عن نفسه المريضة الحاقدة وألصقه بالطاهرين؛ ولنتأمَّل فيما كتب:

۞ كانت رسالة سيِّدنا لوط عليه السلام محاربة الزنا، والشذوذ الجنسى، والانحراف الأخلاقى، والفسق بالْمُثْل؛ فكان لزامًا على كاتب هذا السفر أنْ يرمى نبى الله وابنتيه بالفاحشة ذاتها الَّتى كُلِّف بمحاربتها، وأنفق عمره فى مقاومتها.

أليس هذا من العجائب ؟ وليت كاتب هذا الكفر يبعث الآن حيًّا ليرى بعينيه ما يفعله يهود هذا العصر هم ومَنْ يتَّبع ملَّتهم من النصارى، فقد سنّوا القوانين، وشرَّعوا الدساتير الَّتى تبيح زواج المثل؛ فالرجل يتزوج "رجلا" ـ إنْ صحَّ أنَّه رجل ـ مثله يلوط به، والمرأة تتزوج نظيرتها تُسَاحقها، والقانون يحمى هؤلاء الشواذ فى دول أوربا وأمريكا.

۞ السكران "طينة" يكون فاقد الوعى، وغائبًا عنه الحس، فلا يمكن أنْ ينتصب ذكره، فكيف يمارس الجنس؟ ألعلَّه "سُكْرٌ" مقدَّس؛ لأنَّه سُكْرُ نبى!!!؟ فلا يخضع لما يخضع له الأسوياء من البشر.

۞ كيف لم يفطن سيِّدنا لوط عليه السلام لما حدث له فى الليلة الأولى ؟ وكيف انخدع فى الليلة الثانية ؟ وماذا فعل عندما رأى ابنتيه العذراوين حاملتين وليس معهما رجل غيره ؟

۞ هل من المؤكد أنْ تحمل المرأة من المرَّة الأولى، أو تكررت جريمة الزنا مرات متعدِّدة إلى أنْ تمَّ الحمل ؟ وهل كانت تلك المرَّات وهو واع لما يفعل بابنتيه، أو كان لا بدَّ من أنْ يكون فى حالة سكر فى كلِّ مرَّة ؟

---

(١) تكوين ١٩، ٣٠ ـ ٣٨.

۞ نعرف أنَّ فترة الحمل عند المرأة أيّام قلائل فى منتصف الدورة الشهريَّة عند نضج البويضة ـ فهل تصادف أنْ كانت البنتان فى تلك الليلة والليلة الَّتى تليها فى وقت نضج البويضة ومهيأتين للحمل؟

۞ وهل من الضرورى أنْ تنجب البنتان ذكرين؟ أو لعلَّ هذا زنا نبى له وضع مختلف عن زنا الناس؟

۞ وبماذا نفسِّر كون كلا الذكرين أبا لفريق من أعداء اليهود ؟

ارجع إلى الإجابة عن هذا السؤال فى فصل الأجناس البشريَّة.

الإله الخرع

روى مؤلف سفر التكوين ـ والصحيح أنْ يقال "مخرِّف السفر" ـ هذه الحكاية الفكاهيَّة عن سيِّدنا يعقوب ﷺ، قال:

" وَقَامَ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَخَادِمَتَيْهِ وَبَنِيهِ الأَحَدَ عَشَرَ فَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ، أَخَذَهُمْ وَعَبَّرَهُمُ الْوَادِى، وَعَبَّرَ مَا كَانَ لَهُ، وَبَقِى يَعْقُوبُ وَحْدَهُ.

فَصَارَعَهُ رَجُلٌ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَرَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَمَسَ حُقَّ وَرِكِهِ؛ فَانْخَلَعَ حُقُّ وَرِكِ يَعْقُوبَ فِى مُصَارَعَتِهِ لَهُ، وَقَالَ: اصْرِفْنِى؛ لأَنَّه قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ.

فَقَالَ يَعْقُوبُ: لاَ أُصْرِفُكَ أَوْ تُبَارِكَنِى. فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ ؟

قَالَ: يَعْقُوبُ.

قَالَ: لاَ يَكُونُ اسْمُكَ يَعْقوبُ فِيمَا بَعْدُ، بَلْ إِسْرَائِيلُ؛ لأَنَّكَ صَارَعْتَ اللهَ وَالنَّاسَ؛ فَغَلَبْتَ.

وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ قَالَ: عَرِّفْنِى اسْمَكَ، فَقَالَ: لِمَ سُؤَالُكَ عَنِ اسْمِى ؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ"[1].

إذا كان لهذه الأضحوكة السخيفة من قيمة، فهى تثبت بما لايدع مجالا للشك أنَّ

(١) تكوين " الطبعة اليسوعية " ٣٢: ٢٣ ـ ٣٠، وفى طبعة كتاب الحياة اختلاف كثير.

مرض الـ " ألزهايمر Alzheimer " ليس من أمراض العصر ـ كما يظنَّ أكثر الناس ـ بل هو مرض قديم أصاب أغلب مؤلفى كتاب الأسفار اليهودية إنْ لم يكن كلّهم؛ فهم ينفون ما يثبتونه بعد كلمة، أو جملة، وهم يثبتون ما لا يمكن أنْ يكون له معنى إلاَّ الحمق والاجتراء على الذات الإلهية.

واقرأ معى ـ أيُّها الأخ الكريم ـ تلك القصة مرَّة ثانية، وحاول أنْ تتأمَّل الجمل الواردة فيها، والتعرف منها على المراد، أو المعنى المقصود إنْ كان لها معنى:

۞ وَعَبَّرَ مَا كَانَ لَهُ وَبَقِى يَعْقُوبُ وَحْدَهُ.

ـ أين بقى يعقوب وحده ؟ أ فى جهة المخاضة الَّتى عبَّر إليها أهله وماله أم فى الجهة الأولى قبل أنْ يعبِّرهم ؟

إنْ كان فى الجهـة الَّتى فيها أهله وماله فهو ليس وحده، وإنْ كان فى الجهة الأولى فلِمَ أتعب نفسه وعَبَّر أهله إذن إلى جهة أخرى ورجع إلى حيث كان أولاً ؟

۞ فَصَارَعُهُ رَجُلٌ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

ـ ونسأل: لماذا يصارعه رجل لا يعرفه كلَّ هذا الوقت، وليس بينهما إحن أو خصومة؟ وأين كان هذا الرجل ويعقوب يعبِّر أهله؟ ومن أين جاء هذا الرجل ويعقوب بقى وحده كما يقول؟ وكلمة "المصارعة" فى اللغة تعنى "الطرح بالأرض"[1]، ورياضة المصارعة من هذا المعنى؛ فالمتصارعان يلتقيان بالأيدى وبالأرجل ويحاول كل منهما أنْ يطرح صاحبه أرضا، ويقعد على صدره منتصرا، وقد استطاع سيِّدنا يعقوب عليه السلام أنْ يغلب "الله" طول الليل، وأنْ يقعد على صدره، ولم ينقذه منه إلاَّ طلوع الفجر؛ فطلب "الله" من يعقوب فى ذلّة ومسكنة أنْ يصرفه، فرفض إلاَّ بشرط أنْ "يباركه".

۞ فَلَمَسَ حُقَّ وَرِكِهِ؛ فَانْخَلَعَ حُقُّ وَرِكِ يَعْقُوبَ فِى مُصَارَعَتِهِ لَهُ.

---

(١) لسان العرب، مادة " صرع ".

ـ تغيَّر الحال فجأة، بعد طلوع الفجر؛ فلمس "الله" ورك حُق يعقوب فانخلع حُقُّ وركه.

سبحان الله العظيم !!! أين كانت هذه القوة الخارقة الَّتى تخلع حُقَّ الورك بمجرد اللمس، ويعقوب طول الليل يرفعه وينفضه فى الأرض؟ وكيف كانا يتصارعان طول الليل إذن؟ أكانا يتصارعان بـ "الرموت كنترول"؟ أم كانا يتصارعان بدون لمس؟ لعلهما كانا يتصارعان بالهمس، بالآهات، بالنظرات، باللفتات، بالصمت الرهيب، مع الاعتذار للشاعر كامل الشناوى، فى قصيدته "لا تكذبى"، ومن حسن الحظ أنَّ الشاعر لم يذكر " اللمس " ذلك الَّذى يخلع حقَّ الأوراك[1].

وليس عندى إلاَّ تفسيران لهذه الحالة:

التفسير الأول: أنَّ " الله " تخور قواه بالليل، ويتعب من العمل الشاق طوال النهار، فإذا أقبل الليل يستطيع أى مخلوق من خلقه أنْ يمسح به الأرض، و" تعب الله " هذا موجود فى تقليدهم الكهنوتى، ولهذا قدَّسوا السبت الَّذى يستريح فيه الله المسكين من مشقَّة العمل.

والتفسير الآخر: أنَّ " الله " يعمل "بُزُنْبُرك"؛ فهو يحتاج إلى ضغط ليتهيَّأ للعمل؛ ومن خلال الصراع طول الليل " امتلأ " الزنبرك، وظهر عمله بعد طلوع الفجر، ففعل ما فعل بالمعتدى يعقوب.

ولا أجد تفسيرًا آخر غير هذين، فمن هداه الله إلى تفسير لا أعرفه فليخبرنى به، وله الأجر والثواب من الله العلى القدير ذى الحول والطول، لا من هذا "الإله" الخرع ذى الزنبرك.

۞ لأَنَّكَ صَارَعْتَ ٱللهَ وَالنَّاسَ فَغَلَبْتَ.

ـ أين هم الناس الَّذين صارعهم يعقوب، ألم يذكر منذ قليل أنَّه بقى وحده ؟ فمن أين جاء هؤلاء الناس ؟ ومتى صارعهم ؟ وهل كان الصراع بالوسائل ذاتها

---

(١) شعر كامل الشناوى ٣٠.

الَّتى صارع بها خالقه: الهمس والآهات... ؟ أو صارعهم بوسائل أخرى ؟ ثُمَّ كيف يكون قد غلبهم، وهو القائل " وَرَأَىَ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ" ؟ أيكون قد غلبه دون أنْ يقدر عليه ؟ وكيف ؟

۞ فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ ؟

ـ أليس عجيبًا أنَّ "الله" لا يعرف اسم عبده أو ابنه البكر بزعمهم ؟ وإذا كان "الله" يجهل كلَّ شيء عن عباده بدءًا من الاسم فماذا يعرف عنهم ؟

وكيف سيحاسبهم على أعمالهم الَّتى يجهلها ؟

وكيف يعترف هذا " الإله " بضعفه وعجزه، فيغيِّر اسم عبده الذى نكَّل به، وهزمه إلى اسم جديد يؤرخ لهذا العجز إلى أبد الدهر، وترويه الأجيال جيلا بعد جيل ؟ ألم يكن من الأجدر به أنْ يخجل من نفسه، وأنْ يدارى عجزه، ويُكْسَف من خيبته ؟

ولعمرى إنَّها لوسيلة طيِّبة إذا إراد الإنسان منَّا أنْ يغيَّر اسمه فما عليه إلاَّ أنْ يغلب "الله"، ويهزأ به، ويمسك به و"يرنُّه علَّقة سخنة"؛ فيمنحه اسما آخر، وليس هناك أى داع للإجراءات القضائية المعقَّدة فى زماننا هذا، والنشر فى الوسائل الإعلامية المتَّبعة عند تغيير الأسماء.

۞ لِمَ سُؤَالُكَ عَنِ اسْمِى ؟

ـ لا أعرف سببا يجعل الله يخفى اسمه عن عبده، وكيف يخفى اسمه، وهو المعبود، وباسمه يدعوه عباده ؟

ما الغرض " الإسرائلى " من هذه " الإسرائيلية " السخيفة الَّتى يصفها شارحها فى الأسفار اليهودية بقوله:

" هذه الرواية الغامضة اليهودية ولا شك " ؟

الرأى عندى أنَّ الغرض منها ثلاثة أمور:

الأول: أنَّ اليهود لا يُغْلَبون، ولا يُقْهَرون؛ لأنَّهم ينتسبون إلى إسرائيل الَّذى استطاع بقوّته أنْ يغلب الله والناس معا، أو كما يقول شارح النص: " ويغتصب منه بركة تكون واجبًا على الله نحو الَّذين سيحملون بعده اسم "إسرائيل".

والثانى: التعليل لعدم أكل اليهود "عرق النَّسَا" الذى فى حُقِّ الورك إلى اليوم كما يزعم مؤلف السفر.

والثالث: يضيف شارح السفر سببا ثالثا هو أنَّ المؤلف يستعمل قصَّة قديمة لتفسير اسم فنوئيل "بنى إيل" (وجه الله)، ولإيجاد أصل لاسم إسرائيل الَّذى لا أصل له.

وكان الله فى عون أصحاب العقول.

ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيرى أنَّ القصَّة متأثِّرة بعناصر الملحمة الأكاديَّة حيث يكتسب البطل بصراعه المادِّى مع الإله صفات تجعله فوق البشر، أو نصف إله، وتكسبه بانتصاره على الإله حق نُصْرَةِ الإله له دائمًا فى علاقاته مع الآخرين، وهذا الصراع مع الإله يشبه وقائع مماثلة فى الأساطير اليونانية[1].

مهر العروس

النص: " ٢٠ لَكِنَّ مِيكَالَ ابْنَةَ شَاوُلَ الصُّغْرَى أَحَبَّتْ دَاوُدَ، فَعَلِمَ شَاوُلُ بِالأَمْرِ وَحَظِيَ ذَلِكَ بِرِضَاهُ. ٢١ وَقَالَ شَاوُلُ فِي نَفْسِهِ: «أُزَوِّجُهُ مِنْهَا فَتَكُونُ لَهُ فَخّاً، وَكَذَلِكَ يَسْعَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ إِلَى قَتْلِهِ». وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ مَرَّةً ثَانِيَةً: «يُمْكِنُكَ مُصَاهَرَتِي الْيَوْمَ». ٢٢ وَأَمَرَ شَاوُلُ رِجَالَهُ أَنْ يُسِرُّوا فِي أُذُنِ دَاوُدَ أَنَّ الْمَلِكَ يُحِبُّهُ، وَأَنَّهُ مَحَلُّ إِعْجَابِ الْحَاشِيَةِ، وَأَنْ يَنْصَحُوهُ بِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ، ٢٣ فَرَاحَ عَبِيدُ شَاوُلَ يُسِرُّونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي مَسَامِعِ دَاوُدَ. فَأَجَابَ دَاوُدُ: «أَتَظُنُّونَ مُصَاهَرَةَ الْمَلِكِ أَمْراً تَافِهاً؟ أَنَا لَسْتُ سِوَى رَجُلٍ مِسْكِينٍ حَقِيرٍ». ٢٤ فَأَخْبَرَ عَبِيدُ شَاوُلَ سَيِّدَهُمْ بِحَدِيثِ دَاوُدَ. ٢٥ فَقَالَ شَاوُلُ لَهُمْ: «هَذَا مَا تَقُولُونَهُ لِدَاوُدَ: إِنَّ الْمَلِكَ لاَ يَطْمَعُ فِي مَهْرٍ، بَلْ فِي مِئَةِ

---

(١) الموسوعة اليهودية والصهيونية م / ٢، جـ / ٢، الباب ٤، المدخل " يسرائيل ".

غُلْفَةٍ مِنْ غُلَف الْفِلِسْطِينِيِّينَ، انْتِقاماً مِنْ أَعْدَاءِ الْمُلِكِ». قَالَ هَذَا ظَنّاً مِنْهُ أَنْ يُوْقِعَ دَاوُدَ فِي أَسْرِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٢٦ فَأَبْلَغَ عَبِيدُ شَاوُلَ دَاوُدَ بِمَطْلَبِ الْمَلِكِ، فَرَاقَهُ الأَمْرُ، وَلاَ سِيَّمَا فِكْرَةُ مُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. وَقَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ الْمُهْلَةُ الْمُعْطَاةُ لَهُ، ٢٧ انْطَلَقَ مَعَ رِجَالِهِ وَقَتَلَ مِئَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَأَتَى بِغُلَفِهِمْ وَقَدَّمَهَا كَامِلَةً لِتَكُونَ مَهْراً لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. فَزَوَّجَهُ شَاوُلُ عِنْدَئِذٍ مِنِ ابْنَتِهِ مِيكَالَ. ٢٨ وَأَدْرَكَ شَاوُلُ يَقِيناً أَنَّ الرَّبَّ مَعَ دَاوُدَ، وَأَنَّ ابْنَتَهُ مِيكَالَ تُحِبُّهُ. ٢٩ فَتَزَايَدَ خَوْفُ شَاوُلَ مِنْ دَاوُدَ، وَأَصْبَحَ عَدُوَّهُ اللَّدُودَ طَوَالَ حَيَاتِهِ. "[1].

إنَّ سيرة نبيَّ الله داود ﷺ من أكثر سير الأنبياء تشويها فى الشريعة الخطيَّة؛ فجعلوه زانيًا، وسفَّاحًا، وقاطع طريق... وغير ذلك من الصفات القبيحة، وقد سبق أنْ ذكرت أنَّ اليهود إذا شوَّهوا سيرة رجل فمن المؤكَّد أنَّهم ينسبونه إلى الأعداء، أو الَّذى يشكُّون فى نسبه إلى بنى إسرائيل، وسيِّدنا داود ﷺ هو الَّذى أسس أوَّل مملكة لهم فى فلسطين، ورفع لهم ذكْرًا فى تلك البلاد، وحقق لهم نصرًا عظيمًا على الفلسطينيين فلماذا شوَّه اليهود سيرة سيِّدنا داود ؟

الراجح أنَّ سيِّدنا داود ﷺ لم يكن من بنى إسرائيل، وسنفصِّل الأسباب العلميَّة الَّتى تخرجه من هذه الفئة القذرة، فى حديثنا عنه فى الفصل الرابع من الباب الثانى، وأمَّا حديثنا الآن فالتعليق على رواية كاتب هذا السفر اليهودى الَّذى يبيِّن المؤامرة الَّتى رسمها الملك شاول للتخلَّص من داود خوفًا منه على مكانته وسلطانه، وأراد أنْ يدلَّه على طريق الهلاك بيد الأعداد، ولمَّا كان داود فقيرًا، فقد أوحى إليه الملك أنَّه قادر على توفير المهر الَّذى يطلبه لابنته ميكال؛ فهو لا يطلب مالاً، ولا يطلب حسبًا ولا نسبًا، " إِنَّ الْمَلِكَ لاَ يَطْمَعُ فِي مَهْرٍ، بَلْ فِي مِئَةِ غُلْفَةٍ مِنْ غُلَفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، انْتِقَاماً مِنْ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ".

ما أيسره من مهر على بطل مقدام مثل داود، مائة غلفة فقط إنَّ همَّة داود العظيمة

---

(١) صموئيل الأول ١٨: ٢٠ ـ ٢٩.

تأبى عليه إلاَّ أنْ يجعل المائة مائتين، والمهر مهرين، ولك أنَّ تتخيَّل رجلاً يحمل سلاحه، ويقود رجاله، ويتعرَّض للأبرياء الآمنين من الناس، فيقطع عليهم الطريق، ويقتلهم بلا ذنب وبلا جريرة ثمَّ يشق ثيابهم، ويكشف عن سوآتهم، ويَجُبُّ مذاكيرهم، ويجمعها فى وعاء أنيق يليق بهديَّة الملوك، ويحملها مزهوًّا إلى عرش الملك، ويصب أمامه أيور الرجال القتلى من الفلسطينيين بغلفها، ويعدُّها أمامه أيرًا أيرًا، ويبرُّه بمائة أير زائدة عن المهر المطلوب؛ لتزداد حظوته عند الملك الهمام، وعند ابنته صاحبة العصمة والعفَّة الَّتى تستقبل مهرها الثمين من الأيور الكبار الغلاظ فى حجرها معتزَّة بحملها، فخورة ببعلها، ويا له من منظر يسر، ويا لك من مؤلف عبقرى لا تستحى، ولا تخجل:

۞ ألا تعرف أيُّها الغبى الكاذب أنَّ أنبياء الله لا يمكن أنْ يكونوا من القتلة والسفَّاحين، وقطَّاع الطرق.

۞ ألا تعلم أنَّ أنبياء الله لا يعتدون على حرمة الموتى، ولا ينتهكون قداسة الجسد البشرى بالتشويه، والإفساد، والمُثْلة به.

۞ ألا تدرى أيُّها الجاهل البذىء أنَّ أنبياء الله غضيضوا الطرف؛ فلا ينظرون إلى سوآت الرجال؛ فضلاً عن القبض عليها بالأيدى، وقطعها بالآلات، وحملها على الرءوس. ألا لعنة الله على الكافرين.

القربان المزعوم

النص: "١ وَعَاشَرَ آدَمُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ، وَوَلَدَتْ قَايِينَ إِذْ قَالَتْ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». ٢ ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ، وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِياً لِلْغَنَمِ. أَمَّا قَايِينُ فَقَدْ عَمِلَ فِي فَلاَحَةِ الأَرْضِ. ٣ وَحَدَثَ بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قَايِينُ مِنْ ثِمَارِ الأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ، ٤ وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ. ٥ لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدّاً وَتَجَهَّمَ وَجْهُهُ كَمَداً. ٦ فَسَأَلَ الرَّبُّ قَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ لِمَاذَا تَجَهَّمَ وَجْهُكَ؟ ٧ لَوْ أَحْسَنْتَ فِي تَصَرُّفِكَ أَلاَ يُشْرِقُ وَجْهُكَ فَرَحاً ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنِ

التَّصَرُّفَ، فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ تَنْتَظِرُكَ، تَتَشَوَّقُ أَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَيْكَ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَتَحَكَّمَ فِيهَا»

٨ وَعَادَ قَايِينُ يَتَظَاهَرُ بِالْوُدِّ لأَخِيهِ هَابِيلَ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا مَعاً فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ هَجَمَ عَلَى أَخِيهِ هَابِيلَ وَقَتَلَهُ. "[1].

يحدِّثنا النص هنا عن:

۞ قايين الَّذى يعمل فى فلاحة الأرض، وهو شرّير حاقد.

۞ هابيل الراعى، وهو طيِّب صالح.

والسؤال: هل كان ولدا سيِّدنا آدم ﷺ يعرفان الزراعة، واستئناس الحيوان ليقدِّما قربانين مختلفين ؟

إنَّ التاريخ والعلم يناقضان هذا النص فى مسألتين:

المسألة الأولى: أنَّ الإنسان لم يعرف الزراعة واستئناس الحيوان إلاَّ بعد آلاف السنين من ظهوره على سطح الأرض واستقراره حول شطئان البحار، وفى دلتا الأنهار وعلى ضفافها.

والمسألة الأخرى: يؤكد علماء الاجتماع أنَّ طبيعة الشر والعدوان من صفات الرعاة، بينما طبيعة الخير والرحمة من صفات الفلاحين، وهو عكس ما ترويه الأسفار اليهودية؛ فقد كان الإنسان الأول يعتمد فى حياته على الصيّد، والتنقّل من مكان إلى آخر، ولمَّا عرف الزراعة، واستئناس الحيوان بدأت مرحلة هامّة من مراحل التاريخ، وهى مرحلة الاستقرار فى القرى، ثم فى المدن.

ونشأ عن هذا التطوّر ظهور نظامين متمايزين، لكل منهما خصائصه وصفاته:

النظام الرعوى: ويمتاز بالحركة والتنقل، وقوّة الرجال، والسعى وراء الكلأ، ومنابع الماء، والرعاة لا يملكون إلاَّ ماشيتهم، وخيامهم، وما يخفّ حمله من المتاع،

---

(١) تكوين ٤: ١ ـ ٨.

وغالبا ما يفرض عليهم الجفاف الإغارة على جيرانهم " وكانت قبائلهم بمثابة فرقة عسكرية دائمة، تدين بالولاء لزعمائهم، وعلى أهبة الاستعداد للمسير فى أيّة لحظة "[1].

والنظام الزراعى: وقد نشأ حول الأنهار، ومجارى المياه، واحتاج إلى تعاون الجماعة لمدّ الجسور، وحفر القنوات، وحرث الأرض والحصاد، والإقامة الدائمة بجانب مزارعهم؛ لرعايتها، وريّها، ومن هنا نشأت القرية، وعرف الإنسان الأول الاستقرار وبناء المساكن الدائمة، وصناعة

الأوانى التى يحفظ فيها محاصيله والآلات التى تساعده فى أعماله الزراعية.

بطبيعة الحال، الفلاحون أناس مسالمون متحضّرون، قويت فيهم عوامل الاستقرار، والتعاون، وضعفت فيهم غرائز العدوان والتعدّى، ويصرفون وقتهم كلّه فى إتقان العمل، واستعمال الآلات التى تعينهم على حرث الأرض، وحفظ الثمار فى الوقت الذى كان فيه الرعاة يتدرّبون على فنون القتال، واستعمال السلاح.

وأحداث التاريخ فى جانب منها تمثّل صور النِّزاع والحرب بين هذين النظامين المختلفين؛ فالفلاحون كان لا بدّ لهم من ادّخار جزء من محاصيلهم لإعادة زراعته فى الموسم القادم، وفى الوقت نفسه عليهم أنْ ينظّموا استهلاكهم للثمار لتسد حاجتهم من الغذاء حتى يحين موعد الحصاد الجديد، وهو فى الغالب حَوْلاً كاملاً؛ وعندما كثرت المدخرات فى بيوتهم أصبحوا هدفا لغارات الرعاة، وفريسة سهلة لعدوانهم، وتكاد الدراسات الحديثة تجمع على أنَّ " بواعث التملّك والقوة والغزو أقرب إلى طابع الرعاة منها إلى طابع القرويين"، فإنّ التفاعل بين الفلاحين المستقرين، أصحاب الأرض وبين والرعاة الرُّحَّل كان سلميا فى قليل من الأوقات، وعنيفًا فى أغلب الأحيان[2].

---

(١) الغرب والعالم ١ / ١٢٥.

(٢) الغرب والعالم ١ / ٧٣، والاستيطان الفرنجى ١٣٣.

والصواب ما جاء فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

لاحظ أنَّ الأسفار اليهوديَّة اتَّفقت مع القرآن الكريم فى أنَّ الله ﷻ يتقبَّل القربان من المتقين أو بحسب تعبير الأسفار "لَوْ أَحْسَنْتَ فِى تَصَرُّفِكَ أَلاَ يُشْرِقُ وَجْهُكَ فَرَحاً ؟"

وناقضت الأسفار اليهوديَّة التاريخ والعلم بذكر نوعين مختلفين للقربان، وسكت القرآن الكريم عن ذكر النوع؛ لأنَّ العبرة بدلالة القربان على قلب مقدِّمه وضميره، ورغبته فى إرضاء خالقه، وليست العبرة بنوع القربان؛ فقد يكونان من نوع واحد، أو من نوعين مختلفين مما حصل عليه الرجلان من سعيهما فى طلب الرزق.

عجيبة الدهور وطرفة المخمور

النص: " مولد فارص وزارح ٢٤ وَبَعْدَ مُضِى ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ قِيلَ لِيَهُوذَا: «ثَامَارُ كَنَّتُكَ زَنَتْ، وَحَبِلَتْ مِنْ زِنَاهَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا لِتُحْرَقَ». ٢٥ وَعِنْدَمَا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: «أَنَا حُبْلَى مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ. تَحَقَّقْ لِمَنْ هَذَا الْخَاتَمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا؟» ٢٦ فَأَقَرَّ بِهَا يَهُوذَا وَقَالَ: «هِى حَقّاً أَبَرُّ مِنِّى، لأَنَّنِى لَمْ أُزَوِّجْهَا مِنِ ابْنِى شِيلَةَ». وَلَمْ يُعَاشِرْهَا فِى مَا بَعْدُ.

٢٧ وَعِنْدَمَا أَزِفَ مَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا إِذَا فِى أَحْشَائِهَا تَوْأَمَانِ. ٢٨ وَفِى أَثْنَاءِ وِلاَدَتِهَا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا يَداً فَرَبَطَتِ الْقَابِلَةُ حَوْلَهَا خَيْطاً أَحْمَرَ، وَقَالَتْ: «هَذَا خَرَجَ أَوَّلاً». ٢٩ غَيْرَ أَنَّهُ سَحَبَ يَدَهُ فَخَرَجَ أَخُوهُ، فَقَالَتْ: «أَى اقْتِحَامٍ اقْتَحَمْتَ لِنَفْسِكَ؟» لِذَلِكَ دُعِىَ اسْمُهُ فَارَصَ (وَمَعْنَاهُ: اقْتِحَامٌ). ٣٠ وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ ذُو الْمِعْصَمِ الْمُطَوَّقِ بِالْخَيْطِ الأَحْمَرِ فَسُمِّى زَارَحَ (وَمَعْنَاهُ: أَحْمَرُ، أَوْ إِشْرَاقٌ)[2].

---

(١) سورة المائدة ٥: ٢٧.

(٢) تكوين ٣٨: ٢٤ ـ ٣٠.

هذه رواية كتاب الحياة، وهى لا تختلف كثيرا عن الرواية اليسوعية الكاثوليكية عن كيفية الولادة العجيبة للتوءمين، والَّتى تثبت حق البكوريَّة لزارح.

جاء فى الرواية اليسوعيَّة الكاثوليكيَّة "وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ وِلاَدَتِهَا، إِذَا بِتَوْءَمَيْنِ فِى بَطْنِهَا، وَلَمَّا وَلَدَتْ، أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا يَدَهُ، فَأَخَذَتِ الْقَابِلَةُ خَيْطًا قِرْمِزِيًّا، فَعَقَدَتْهُ عَلَيْهَا، وَقَالَتْ: " هَذَا خَرَجَ أَوَّلاً " فَلَمَّا رَدَّ يَدَهُ، خَرَجَ أَخُوهُ فَقَالَتْ: " يَا لَكَ مِنْ ثَغْرَةٍ ثَغَرْتَهَا " فَسُمِّىَ فَارَص، وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ الَّذِى عَلَى يَدِهِ الْخَيْطُ الْقِرْمِزِىُّ، فَسُمِّىَ زَارَح".

أعترف بأنَّنِى عندما قرأت هذا النص لأوَّل مرَّة ضحكت ضحكا كما لم أعرف الضحك فى حياتى إلى الحدِّ الَّذى سقطت فيه على الأرض دامع العينين، مغشيًّا علىَّ.

وأعترف أيضًا بأنَّ ذلك الضحك ظلَّ يلازمنى أيَّامًا كثيرة بعدها ولمدَّة زادت عن شهر، وما زِلْتُ إلى اليوم لا أستطيع أنْ أمنع نفسى من الضحك المبكى عندما أتخيَّل منظر يد طفل صغير تخرج من فرج امرأة ثم تعود إلى الداخل مرَّة أخرى بعد أنْ تثبت لصاحبها حقًّا فى ميراث أبيه، وتعمَّمت بعمامة حمراء رمز السيادة والرئاسة، ويخيَّل إلىَّ ـ كلَّما تصوَّرت ذلك المنظر ـ كأنَّ فرج المرأة يخرج للعقلاء لسانا متحدِّيا به ما يمكن أنْ يكون قد بقى فيهم من فهم أو إدراك أو تمييز.

سألت عددا كبيرًا من الأطباء ـ مسلمين ومسيحيين ـ عن كيفية الولادة الطبيعيَّة، وهل يمكن للوليد أنْ يخرج يده، ويدخلها، ثم يبتعد عن مخرج الرحم متراجعا ليسمح لتوءمه بالنُّزول قبله، ثم يأتى من بعده، فأجمعوا على استحالة ذلك، بل إنَّ بعضهم ـ عندما سمع منِّى السؤال ـ شكَّ فى قواى العقليَّة، وظنَّ أنَّنى أهذى، أو أنَّنى أُصِبْتُ بالخبل والجنون، وتبَّرع بأنْ يحجز لى مكانا مناسبا يليق بى فى عنابر الخطرين فى واحد من مستشفيات المجانين، وأجمعوا على أنَّ خروج الطفل من الرحم يبدأ بالرأس، ولا بدَّ أنْ يتمَّ بسرعة فائقة وإلاَّ اختنق الطفل ومات.

وسألت كثيرا من النساء ممن لا أستحى من سؤالهن فى أمر كهذا ـ ولا حياء فى العلم ـ فكنَّ ينظرن إلى بغرابة ودهشة وكأنِّى أسألهن عن أحجية أو "فزُّورة من

فوازير رمضان" تشبه ما يقال عن العجل الَّذى خاض فى البحر ولم يلامس الماء جسمه؛ لأنَّه كان فى بطن أمِّه !!!

ولنترك جانبا استحالة هذه الولادة، وخروجها عن سنَّة الله فى خلقه، ومناقضتها لجميع القوانين الَّتى ارتضاها لعباده، ولنسأل ذلك المؤلف العاقل بعضا من الأسئلة الَّتى تثيرها فينا روايته البلهاء:

۞ كيف عرفت القابلة أنَّ فى بطن المرأة الحامل توْءمين ؟

۞ وكيف عرفت أنَّ التوْءمين ذكران، وليسا أنثيين، أو ليسا ذكرًا وأنثى ؟

۞ ومن أين أتت بالخيط الأحمر الَّذى ربطته على يد الصبى ؟ أكان وحيًا من الله لها أم كان فراسة منها أم غباء من كاتب هذا الكلام الفارغ ؟

ويُخَيَّلُ إلىَّ أنَّ الكاتب الكوميدى الَّذى كتب هذه الفقرة أراد من روايته التعليل لاسم المولودين، وهى رواية تشبه إلى حد بعيد بعض القصص الرمزى الَّذى يؤلفه الكتَّاب لأصول الأمثال الشعبية، مضرب المثل بها، وقد سبق أنَّ جاءت قصة شبيه بهذه للتعليل لاسم التوءمين عيسو ويعقوب، فقد جاء فيها: " ٢١ وَصَلَّى إِسْحقُ إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِراً، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ، فَحَمَلَتْ رِفْقَةُ زَوْجَتُهُ. ٢٢ وَإِذْ تَصَارَعَ الطِّفْلاَنِ فِى بَطْنِهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَمَا لِى وَالْحَبَلُ؟» وَمَضَتْ لِتَسْتَفْهِمَ مِنَ الرَّبِّ ٢٣ فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: «فِى أَحْشَائِكِ أُمَّتَانِ، يَتَفَرَّعُ مِنْهُمَا شَعْبَانِ. شَعْبٌ يَسْتَقْوِى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ».

٢٤ وَعِنْدَمَا اكْتَمَلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِى أَحْشَائِهَا تَوْأَمَانِ. ٢٥ فَخَرَجَ الأَوَّلُ مَكْسُوّاً بِالشَّعْرِ وَكَأَنَّهُ يَرْتَدِى فَرْوَةً حَمْرَاءَ، فَدَعَوْهُ عِيسُو (وَمَعْنَاهُ أَشْعَرُ). ٢٦ ثُمَّ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ عَلَى عَقِبِ عِيسُو فَدَعَوْهُ يَعْقُوبَ (وَمَعْنَاهُ مُتَعَقِّبٌ)[1].

وأعجوبة هذه القصَّة الثانية تتركَّز فى مستحيلين:

المستحيل الأوَّل: أنْ يتمكَّن وليد من القبض بيده، والتحكم فى أعصابه

والمستحيل الآخر: أنْ يخرج يعقوب يده قبل أنْ تخرج رأسه !!!

---

(١) تكوين ٢٥: ٢١ ـ ٢٦.